



إعادة توظيف فكرة الإمبراطورية بما يناسب زمننا

الكحول أو النيكوتين. ويقول ان هذا النوع من الإمبريالية أصبح ضروريا اليوم لقمع أو استعادة الديمقراطية في البلاد التي يتشكل عدم استقرارها خطرا على مصالح الغرب.

لكن لماذا يطلق اغتائيف صفة «الإمبراطورية» على هذا وليس مجرد كونها نوعا من الوصاية الدولية؟ السبب ان العنصر الرئيسي في الإمبريالية الجديدة هو استعمال القوة العسكرية لإقامة نظام عالمي آمن يقوم في الدرجة الأولى على المصالح الوطنية للولايات المتحدة وحلفائها.

لكن هل في هذا ما يبشر بالخير؟ هنا نجد بعض التردد لدى المؤلف، لكن الجواب في مجمله هو بالإيجاب، إذ ان قيام التدخل على أساس تلك المصالح الوطنية ينمّش مع حسن النية تجاه الشعوب المعنية، وهو يعتبر ان ذلك يجعل التدخل مقبولا إلى حد ما، ضمن سياق تاريخي يظهر ان الكثير من حركات التحرر الوطني التي ورثت النظام الكولونيالي السابق لم تؤد سوى إلى الركود والتسلط بدل التحرر الوطني الفعلي.

وما هي أفاق نجاح تدخلات كهذه؟ هناك نجد ان اغتائيف، حتى قبل احتلال العراق، يعبر عن تلك النية تجاه الشعوب المعنية، وهو يعتبر ان ذلك يجعل التدخل مقبولا إلى حد ما، ضمن سياق تاريخي يظهر ان الكثير من حركات التحرر الوطني التي ورثت النظام الكولونيالي السابق لم تؤد سوى إلى الركود والتسلط بدل التحرر الوطني الفعلي.

وما هي أفاق نجاح تدخلات كهذه؟ هناك نجد ان اغتائيف، حتى قبل احتلال العراق، يعبر عن تلك النية تجاه الشعوب المعنية، وهو يعتبر ان ذلك يجعل التدخل مقبولا إلى حد ما، ضمن سياق تاريخي يظهر ان الكثير من حركات التحرر الوطني التي ورثت النظام الكولونيالي السابق لم تؤد سوى إلى الركود والتسلط بدل التحرر الوطني الفعلي.

طريق القوة العسكرية هو الاعلان مقدما انهم ينوون المغادرة في أسرع وقت ممكن.

لكن المؤدى الرئيسي للكتاب، بالرغم من هذه التحفظات، هو ان إيجابيات هذه «الإمبراطورية المخففة» تفوق سلبياتها. أو على حد تعبير المؤلف ان تدخلنا إلى أمريكا يخلق مؤسسات ديمقراطية مستقرة وحكم القانون لم يغازر البلد، «يقوم بعمل يستحق الثناء». ومن هنا فالمرء الصحيح هو السعي إلى الزام الإمبرياليين بالقيام بما تعهدوا به والمغادرة قبل ان يتصاعد الرفض لوجودهم إلى درجة تهدد الانجازات المعودة.

الواضح ان موقف اغتائيف يتجاهل أسئلة سياسية وفكرية عديدة. السؤال الأول في هذا السياق هو ما إذا كان الكتاب لا يتعدى ان يكون تفسيرا للإمبريالية بالطريقة القديمة المعهودة، أي اعتبارها عملا انساني الدافع والغاية، فأبنا، هل يقدم اغتائيف طريقة أفضل لفهم القوى الرئيسية العاملة في عالم اليوم؟ من جهتي أرى ان العمل فاشل على الصعيدين.

ان من نافلة القول ان الإمبرياليين يبررون انفسهم دوما بحسن نيتهم. وربما كان بعضهم، وحتى أكثرهم، صادقا في ذلك، لكن الواضح ان هذا لم يمنع الإمبرياليين من الحاق الكثير من الدمار بالشعوب التي يخضعونها لسيطرتهم. كما لا يبدو ان التأكيد على إيجابيات التوأبا قد أقتع ايا من الشعوب المعنية بأنها كانت خفيفة. وحتى الذين رأوا ان السيطرة الأجنبية قد تكون مفيدة إلى حد ما، يحرصون على عدم الإفراط في التعاريف مع الحكام الجدد - من الأمثلة الأخيرة على ذلك ما نجده اليوم في العراق. كما ان استعمال اغتائيف مفهوم الإمبريالية يثير مشاكل مهمة، فإذ لا جدال في وجود ما يكفي من التشابهات بين انماط كولونيالية مختلفة لاستخلاص توصيفات عمومية لهذه الظاهرة، فان ذلك لا ينطبق على الهدنة الثلاثة

تتعلق الخطة السياسية والاقتصادية الطموحة لحق العراق الجديد، وعلى الموجة نفسها أكد وزير الدفاع الأميركي يوم

٢٨/٦/٢٠٠٣ أنه يسعى إلى إنشاء جيش عراقي وطني يتصدى للمقاومة وكذلك حكومة وطنية مسؤولة، وهذا قد يعني ان واشنطن اغتربتا تجربة السلطة الوطنية في فلسطين وفق النسخة التي سارقتها الولايات المتحدة لتبرير العدوان والاحتلال غير مقبولة في القانون الدولي.

أما الجانب العراقي، فقد لاحظنا ان المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، والشبيعة عموماً ما تدعو إلى المقاومة السياسية والسلمية، ويقولون بان قتل الأميركيين والبريطانيين حرام شرعاً، ومؤدى هذه الفتوى ان قتل العراقيين في أيدي القوات الأميركية والبريطانية حلال شرعاً. وأخطر ما في ذلك ان إشتغال رجال الدين بالسياسة دفعهم إلى استغلال ما لهم وما للدين من مكانة في النفوس للترويج لموقفهم في هذه، وهذا ما أربأ بالدين عن ان يتجاوز به أيه، الأسواق السياسية، لأنه يسهم في انحطاط مكانة المسلمين.

ويفسر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الشيعي موقفه بان المقاومة العراقية هي لأول النظام السابق، وان تشجيعها يعني إعادة الساعية إلى الوراثة وإعادة النظام السابق الذي فر من البلاد بسببه خدس سكان العراق قريبا، فضلاً عن ان المقاومة المسلحة تستفز الأميركيين فيزيديون عدهم ويتبادل الاحتلال. والأولى أن يشجع الاحتلال على الوفاء بما وعد به. ويرى بعض المحللين ان هذا الموقف الشيعي الذي يقترب كثيراً من الموقف الأميركي هو من قبل خُطب الود والتقارب، كما قد ينظر إلى هذا الموقف على أنه انعكاس للموقف الإيراني الذي لا يريد عودة النظام السابق كما لا يريد استفزاز الأميركيين، وقد تكون تلك ورقة تعبر بها إيران عن سلبية من التنازلات لعلها تهدئ واشنطن وتتساعد في ترتيب العلاقات معادمت ورقة العراق وإتمام أيات بتحريض العراقيين هو ضمن سلسلة الإتهامات الأميركية.

ويلاحظ ان واشنطن تنظر إلى المقاومة على انها تحد لإسرائيلها «الخيرة» في العراق ودليل على «جود» البعض، أو هي من طرف آخر كما قال بربر نفسه يوم ٢٩/٦/٢٠٠٣، دليل على ان صدام لا يزال حياً والنظام القديم بحاجة إلى المزيد من الجهد لإقتلعه، وهي نفس النظرية الأميركية التي تربط بين عدم العثور على بن لادن والملا عمر وبين تجدد المقاومة الأفغانية. ومادامت المقاومة «رجعية» في النظرية الأميركية فيجب على السبب العراقي ان يقف ضدها لأنها

روجر أوين *

تقوم الكتب الغربية التي تركز على الإمبريالية الحديثة عموماً على واحد من منظورين. الأول منهما يسعى إلى تقديم تبرير لاحق للنشاط الإمبريالي: مثلاً عن طريق التأكيد على دور الإمبراطورية البريطانية في اشاعة شكل متقدم من العولمة يقوم على التجارة الحرة وتصدير المؤسسات الديمقراطية. فيما يحاول المنظور الثاني استعمال فكرة الإمبريالية لفهم ممارسة الولايات المتحدة لقوتها على الصعيد العالمي.

لكن وجود هذين المنظورين أدى لتقلباتها إلى بدايات منظور ثالث، هو تبرير المخططات الإمبريالية الأميركية الحالية بحجة الفوائد التي تأتي بها إلى الدول الفاشلة، أي الدول التي تعاني من حروب أهلية أو، مثلما في أفغانستان والعراق، الحكومة من قبل الأنظمة ديكتاتورية بشعة. ومن الأمثلة الجديدة على هذا الاتجاه

الجديد كتاب «الإمبراطورية المخففة» لمايكل اغتائيف، الصادر حديثاً عن دار «فتح هاوس» في لندن و«اندوم هاوس» في نيويورك. ويتشكل الجزء الأساسي من الكتاب من ثلاثة تقارير حقلية نشرت سابقاً في «مجلة الأحد - نيويورك تايمز» عن صعوبات صياغة التقارير مضيقاً إليها مقدمة وخاتمة كتبهما عشية الغزو الأميركي للعراق، حاول فيهما اغتائيف، مدير «مركز كار لحقوق الإنسان» في جامعة هارفرد، تبرير ما يسميه «الإمبريالية الموقته»، أو «الإمبريالية المخففة». وقد استعمل التعبير بالطبع من طريقة تسمية بعض المنجات الأميركية ذات المحتوى الأقل من السمعة أو

المقاومة العراقية وأبعادها القانونية والسياسية

تقدم شيئاً جديداً، فضلاً عن مغالاة هذه السلطات في ممارسة صلاحيات غير مشروعة في العراق. ولا شك ان سكوت قرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ عن إدانة العدوان الأميركي والاحتلال على غرار ما يفعل المجلس عادة كما هو حال قراره رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ في شأن الاحتلال الإسرائيلي، لا يمكن ان يفسر على انه قبول دولي بمشروعة الاحتلال والغزو واستخدام القوة، لكنه تسليم سياسي يامر واقع لا يمنع من السماح بنفس القدر بشرعية مقاومته إذا كانت جادة ولملحة الشعب ومستقبل العراق.

وبالفهم ذاته تؤيد الشعوب العربية وتياراتها الإسلامية والوطنية هذه المقاومة، وتتأسف في الوقت نفسه ان الحكومة الأميركية تخاطب براوح أبنائها الذين يجب ان توظفهم في مهام تخدم المجتمع الدولي والسلام العالمي، بدلاً من هذا التزيف اليميني في العراق وأفغانستان. وهو نفس المنطق الذي دعا مناضلاً متصفاً مثل نيلسون مانديلا في جنوب إفريقيا لكي يحصل بعنف من جديد يوم ٢٨/٦/٢٠٠٣ على غزو العراق واحتلاله وتغيير حكومته بالقوة، مشيراً إلى انه لن يقابل الرئيس الأميركي خلال زيارته لبلاده احتجاجاً على الموقف الأميركي في العراق. وفي ضوء ذلك نأمل

ان يكون قرار واشنطن بإرسال سفرك من العراق والسبب في ذلك هو موقفها من وراء حرب أهلية، ولا يزال هذا هو موقفها من وراء تشجيعها لحكومة أبو مازن وطلبتها منه بسبق المقاومة والقضاء عليها، وليس مجرد حثها على وقف العمليات، ولهذا السبب فإن إعلان الهدنة الموقته المشروطة من جانب الفصائل يوم ٢٩/٦/٢٠٠٣ لا يرضي إسرائيل، وذلك قد لا يقدر لها النجاح، لأن إسرائيل في ما يبدو تصر على تصفية المنظمات الفلسطينية ومن حدة دولية للقضاء الكامل عليها، وليس مجرد وقف إطلاق النار معها.

كما أعلنت واشنطن ان المقاومة ستعطل إعادة إعمار العراق، وانه لا تشريع على العراق، وانشطن، ان هي بقيت في هذا البلد إلى الأبد، واستغلت ثرواته من دون ان تقدم على إعماره كما وعدت. فتلك ذريعة للتخلص من وعودها بالإعمار الاقتصادي والإصلاح السياسي، ولهذا السبب تظهر في العراق جماعات للملقين والعسكريين السابقين التي تحلن موقفاً حازماً من كل هذه القضايا فتشجع المقاومة وتضعف لإنهاء الاحتلال وترك العراق للعراقيين. ويلحق بذلك تلك الفتوى الشهيرة التي أعلنها «مجلس علماء السنة» حول إباحة دم اليهود الذين يتحايلون على شراء الأراضي العراقية لتكرار مأساة فلسطين، كما شدد أئمة المساجد الشيعية والسنة على دعم المقاومة وانتقاد بربر ومطالبته بالرحيل.

فما هو الموقف الدولي خصوصاً العربي والإسلامي من المقاومة العراقية؟ الحق ان المقاومة ليست غاية في ذاتها، وسواء صورت على أنها صراع عسكري وسياسي بين النظام السابق والولايات المتحدة، أو كانت حقاً مقاومة وطنية تدافع عن حق الوطن - مجرداً - في الحرية والاستقلال، فالنايات ان النظام السابق انتهى تماماً وبقي العراق بكل أعرافه وطوائفه وتياراته، وأن المقاومة هي ضد ما آل إليه حال العراق والقلق على مستقبله وفشل سلطات الاحتلال في أن

سنوثة لكنه شتاء

■ في ألمانيا: اضطر المستشار غيرهارد شرودر إلى الإخذ بالمعالجة النيو ليبرالية لازمة اقتصاده: إعفاءات ضريبية بقيمة ١٥ بليون يورو وحد من خدمات الرفاه وتقديماته التي اشتهر بها «نمط الحياة الألماني».

الإشتراكيون الديمقراطيون والخضر الألمان، ولأسباب المانية وأوروبية، عملوا بالحل الأميركي. النجاح غير مضمون حتى إشعار آخر: فكيف وأن الولايات المتحدة، في عهد إدارتها الجمهورية الأكثر نيو ليبرالية في التاريخ، تواجه أعلى نسب في البطالة منذ تسع سنوات.

وسط هذا الشتاء هناك سنوثة في الجو: البروفيسور راغهورام راجان. استاذ في شؤون المال في كلية شيكاغو للبيزنس، عرف بتحذيرات من مداخلات المال والسياسة لإسواق الأسواق الحرة. لمع اسمه كباحث وأكاديمي شاب ليُعين كبير اقتصاديي صندوق النقد الدولي.

راجان كان قد شارك، قبل فترة قصيرة، في تأليف كتاب يقول ما هو غير متوقع ولا مألوف: إن مصالح الأغنياء ومصالح الأسواق التجارية الحرة تتضارب وتتناقض أكثر مما تلتقي وتتكامل. رئيس الحكومة الإيطالي سيلفيو بيلوسكوني أحد استهدافات راجان الثانية، فاليمين السياسي في إيطاليا، في نظر البروفيسور، «لم يكتف بالوقوف إلى جانب الأغنياء، بل استحوذ عليه الأغنياء بالمعنى الحرفي للكلمة، وحولوه منظمة لشراء المناصب الشخصية».

راجان نبه كذلك، في أحد مواقفه الأخيرة، إلى صعوبة جعل العراق ديمقراطية ليبرالية من دون اعتماد طريقة أكثر عدلاً مما في البلدان النفطية، في توزيع عائدته النفط، وهو لم يخف إبداء دهشته علناً حيال بعض سياسات صندوق النقد، مشككاً برجاحة مقدماتها وفرضياتها الاقتصادية.

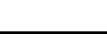
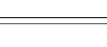
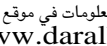
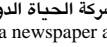
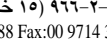
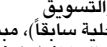
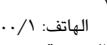
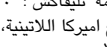
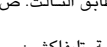
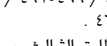
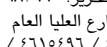
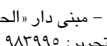
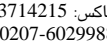
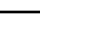
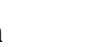
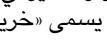
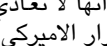
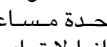
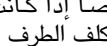
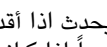
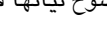
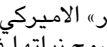
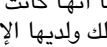
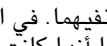
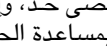
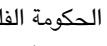
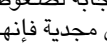
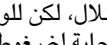
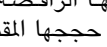
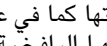
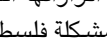
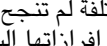
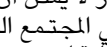
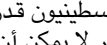
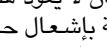
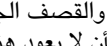
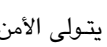
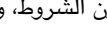
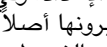
التعيين الأخير، لا شك، جاء على خلفية الفضائح التي هزت بعض كبار الشركات الأميركية والغربية ك«دوت كوم» وأخواتها. لكنه جاء، أيضاً تعبيراً عن نهج تصحيحي متواضع يقال إن الصندوق نفسه شرع، بعد طول تردد، بإخذ به: ففي السنوات القليلة الماضية بدأ ينصح بعض البلدان بالتروي في إجراءات التبرلة وتخريج الأسواق. الفارق، على أية حال، يتبين لدى مقارنة الوافد الجديد بسلفه: كين روغوف، فما أعطى روغوف شهرته كان هجومه المتصل على جوزيف ستيفليتز الذي شغل، بدوره، منصب كبير اقتصاديي البنك الدولي، قبل ان يتحول ناقداً مرأ لسياسات الصندوق التيسيقية ولإجماع واشنطن».

راجان لا يصل في تقيده إلى الحدود التي بلغها جوزيف ستيفليتز، لكنه سيركز على محاربة أسباب الأزمة في الأسواق الناشئة. وهذا أيضاً، على تواضعه، موضوع خطير يصعب افتراض أن الصندوق سيخضعه، إلى النهاية، إلى جانب كبير اقتصادييه.

الأمر، في آخر المطاف، قد لا يتجاوز كونه سنوثة شتاء، أما البناء على إشارات صندوق النقد الأخيرة واعتبارها وجهة قابلة للنماء فبها مغالاة كثيرة.

فكما لا اليمين النيو ليبرالي في السياسة محل اليسار الليبرالي ومتفرعاته، تاكل التصنيع الثقيل والتأمين والإصلاح الزراعي أمام الهجمة الكاسحة للنيو ليبرالية في الاقتصاد. وعلينا أن نتنظر وقتاً، أطول أو أقصر، حتى تستقر الأمور خارج رده الفعل الأيديولوجية، وغالباً ما تتولى الأزمات إعلان الحاجة إلى الاستقرار على توازنات بديل.

حازم صاغية



أسسها كامل مروة عام ١٩٤٦
رئيس التحرير: جورج سمان
Editor-in-Chief: George Semaan

رئيس التحرير المساعد: غسان شربل
نائب رئيس التحرير: عبد الوهاب بدرخان
مدبرا التحرير: زهير قصيبي
مدير التحرير: عبد الله اسكندر

المكتب الرئيسي (لندن):
KENSINGTON CENTRE, 66 HAMMERSMITH ROAD, LONDON, W14 8YT
الهاتف: 020-73714225 / 020-73714215 الفاكس: 020-76029988
925746
التحرير:
الإدارة العامة:
025751
الهاتف: 0207-6024963
0207-6052123
0207-6024514
0207-6024514
مكتب باريس: 42 25 9204 Fax: 42 25 9217
162 Rue du Faubourg Saint Honoré 75008 - PARIS TEL:
الهاتف: ٠١ ٤٦٦ ٧٦٣٢
مكتب بيروت: الوساطة التجاري - شارع العرش - مبنى دار الحياة - ص ١٧/٢٤٢
ماتن: ٤ / ٢ / ٣ / ١ / ٨٧٩٩٠ / ١) فاكس التحرير: ٨٣٢٩٥ (٠١) فاكس الإدارة: ٨٣٢٩١ (٠١)
مكتب الرياض: جريب بلازا - الدور الرابع - شارع العليا العام
ص.ب. ٦٨٩٠٧، الرياض ١١٥٣٣، الهاتف: ٤٦١٠٦٧٥ / ٤٦١٠٥٩٩ / ٤٦١٠٤٠٢، الفاكس: ٤٦١٩٢٣٥
إدارة التسويق: هاتف: ٤٦١ ٥٤٢، فاكس: ٤٦١ ٧٥٣٢
مكتب جدة: شارع اندلس، بناية نهضة، الطابق الثالث، ص.ب. ٣٥٠٦٨، جدة ٢١٤٣٦، الهاتف: ٤٦٤٤٤٦٦، ٤٦٤٤٤٦٦، ٤٦٤٤٤٦٦، ٤٦٤٤٤٦٦
مكتب الدمام: شارع الملك فهد، مبنى نهامة بيتاكن: ٤٦٤٤٤٦٦
مكتب القاهرة: شارع ورسم المنزوع من شارع اميركا اللاتينية، شقة ٤ الدور الثاني، جاردن سيتي
الهاتف: ٧٨٥٠٤٠ / ٧٨٥٠٣٩ / ٧٨٥٠٣٨
مكتب دمشق: مزة فيلات غربية - برج تاله ٥٤
الهاتف: ٠٠٩٣١١١١١١١١١٠٠٠٠
الإعلانات: نهامة للإعلان والعلاقات العامة والتسويق
جدة - شارع الأمير/محمد بن عبد العزيز (التخيلية سابقاً)، مبنى بن حمران.
المملكة العربية السعودية، الهاتف: ٠٦٦١٧٧٧٧ - ٩٦٦٠٢٠ (خطا) - فاكس: ٩٦٦٠٢٠
TTHAMA - MEMS DUBAI tel:00 9714 3355888 Fax:00 9714 3342844 email: thamamems@chouingroup.com
تصدر عن شربة الحياة الدولية للنشر
Registered as a newspaper at the Post Office
مزيد من المعلومات في موقعنا
http://www.daralhayat.com

* كاتب مصري.